ملخص مادة الأخلاق الإسلامية وآداب المهنة

1433-1434هـ

د. عبدالله الديرشوي

إعداد: إنسان

المحاضرة الأولى

تعريف الخُلُق

- **الخلق لغةً: بضم الخاء واللام, الطبع والسجية. أي ما جُبِل عليه الإنسان من الطَّبع. وجمعه أخلاقٌ. وهو – أي الخُلُق – يمثل صورة الإنسان الباطنة، التي هي نفسه التي بين جنبيه وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها. أو بتعبير آخر: الجانب المعنوي في شخصية الإنسان.**
- **الخلق إصطلاحاً: حالٌ للنفس راسخةٌ تصدر عنها الأفعال من خيرٍ أو شرٍ من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ و رَوِيَّةٍ. وبهذا المعنى يكون وصفاً للنفس. فنقول: فلان خلقه عالٍ. أي أنه يتصف في نفسه بصفة تجعل الأفعال الصادرة عنه محمودة من غير تكلف. وكذلك حين نقول: فلان خلقه سيئ. أي أنه يتصف في نفسه بصفة تجعل الأفعال الصادرة عنه مذمومة من غير تكلف. وهذا المعنى هو المراد من قول الله سبحانه في مدح نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم}.**
- **وقد يطلق الخُلُق أحياناً على المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم وعلى أكمل وجه. وبهذا المعنى نقول: الصدق خُلُق, واحترام الكبير خُلُق, وبر الوالدين خلُق ... وهكذا. وهذا المعنى هو المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق".**

موضوع علم الأخلاق

- **يبحث علم الأخلاق في الأحكام القيمية المتعلقة بالأعمال التي توصف بالخير أو الشر، أو توصف بالحسن أو القبح، وهذا ما يميز الأخلاق عن الغرائز والدوافع؛ لأن الغرائز والدوافع هي الحاجات التي فطر الله الإنسان عليها كحاجته للأكل والشرب والنكاح والنوم، وهي أشياء لا تستوجب لصاحبها مدحًا ولا ذمًّا، ولا ثوابًا ولا عقابًا؛ فإن مُدح الإنسان أو ذُم على شيء من ذلك، كان المقصود ليس نفس الفعل، وإنما طريقة صاحبه في تلبية تلك الحاجة، أو إشباع تلك الرغبة. فمن يأكل لا يُمدح ولا يُذم على نفس فعل الأكل، وإنما يُمدح على طريقته في الأكل فإذا أكل مما يليه وبهدوءٍ، ومضغ الطعام جيدًا، وبدأ باسم الله، وانتهى بحمد الله، حُمِد على فعله هذا. وإذا أكل بشراهة، وأدخل اللقمة على اللقمة، وجالت يده في القصعة؛ ذُمَّ على فعله ذاك.**

أقسام الخلق

يمكن تقسيم الخلق إلى قسمين اثنين باعتبارين مختلفين

- **أولاً: باعتبار الفطرة والاكتساب: وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:**
  - **أخلاق فطرية: جُبِلَ الإنسانُ عليها أي هي هبة ومنحة من الله تعالى, وليس للإنسان أي دور في اكتسابها. ومثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشج عبد القيس المنذر بن عائذ وكان وافد عبد القيس وقائدهم ورئيسهم – وعبد القيس قبيلة– (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم, والأناة) فقال: أشيءٌ جُبِلتُ عليه, أم شيءٌ حدث لي؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (بل شيء جبلت عليه). فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحبه الله ورسوله".**

- **أخلاق مكتسبة: يسعى الإنسان في تحصيلها بالتدريب والممارسة العملية, ومن خلال مجاهدته لنفسه. ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيح: (العلم بالتعلم) وقوله: "وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله, وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله, وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ الله".**

- **ثانيهما باعتبار القبول وعدمه شرعاً: وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:**
  - **خلق محمود: وهو الأدب والفضيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلا وشرعا.**
  - **خلق مذموم: وهو سوء الأدب والرذيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعا.**
- **ويُعدُّ حسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالا للمرء إلى الفوز بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والظفر بقربه يوم القيامة. يقول عليه الصلاة والسلام: "إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا".**

مكانة الأخلاق في الإسلام

- **يقسم كثير من الباحثين المعاصرين ما جاء به الإسلام من تشريعات وأحكام إلى شعب أربعة هي:**
  - **عقائد**
  - **عبادات**
  - **معاملات**
  - **أخلاق**
- **قسمها بعضهم إلى ثلاث شعب فدمجوا بين العبادات والمعاملات, فقالوا:**
  - **عقيدة**
  - **شريعة**
  - **وأخلاق.**

- **هذه التشريعات والأحكام إنها تمثل جوهر رسالة الإسلام ولب شريعتها، بكل ما تحمله كلمة الأخلاق من عمق وشمول وبيان ذلك من وجوه :**
  - **حث الإسلام على الفضائل وحذر من الرذائل في نصوص لا تحصى من القرآن والسنة, ووصل فيها إلى أعلى درجات الإلزام، ورتب عليها أعظم مراتب الجزاء، ثواباً وعقاباً، في الدنيا والآخرة.**
  - **بلغ من عناية الإسلام بالأخلاق أن الله سبحانه حين أثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم اختار الثناء عليه من جهة أخلاقه ليُعلمنا أنه لا أبلغ ولا أرفع من هذه الصفة. فقال تعالى:{وإنك لعلى خلق عظيم}.**
  - **جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الغاية والهدف من رسالته إتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الأنبياء والمرسلين, فقال فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق).**

- **في باب العقائد نجد أن الإسلام يضفي على التوحيد صبغة خُلُقية، فيعتبره من باب "العدل" وهو فضيلة خلقية، كما يعتبر الشرك من باب "الظلم" وهو رذيلة خلقية, فيقول سبحانه: {إن الشرك لظلم عظيم} .**
- **والعبادات الإسلامية الكبرى ذات أهداف أخلاقية جلية منصوص عليها في كتاب الله.فالصلاة وهي العبادة الأهم في حياة المسلم، لها وظيفة سامية في تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني على الابتعاد عن الرذائل. قال تعالى: {وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} وهي كذلك تعين المسلم على مواجهة متاعب الحياة. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة}.**
- **وفي مجال المال والاقتصاد كان للأخلاق حضورها سواءٌ في ميدان الإنتاج أم التداول أم التوزيع أم الاستهلاك.**

- **وهكذا فما من مجال من مجالات الحياة يعيشها المسلم بمعزل عن القيم الأخلاقية والضوابط السلوكية, وما هذا الذي ذكرناه إلا غيض من فيض.**

المحاضرة الثانية

أسس الأخلاق في الإسلام

- **يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على ثلاثة أسس هي:**
  - **الأساس الاعتقادي**
  - **الأساس الواقعي والعلمي**
  - **مراعاة الطبيعة الإنسانية**

- **الأساس الاعتقادي: يتمثل الأساس الاعتقادي للأخلاق الإسلامية في ثلاثة أركان هي:**
  - **الركن الأول: الإيمان بوجود الله تعالى الذي خلق الكون وخلق الإنسان وخلق الموت والحياة وهو بكل شيء من الماضي والحاضر والمستقبل عليم, حتى إنه ليعلم ما يدور في خلجات الأنفس من خير أو شر كما قال تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ] {ق:16}**
  - **الركن الثاني: الإيمان بأن الله عز وجل منذ أن خلق الإنسان فوق هذه الأرض عرَّفه بذاته العلية، وعرَّفه بطريق الخير والشر، وطريق الحق والباطل، من خلال رسالاتٍ أوحى بها إلى من اختارهم من أنبيائه ورسله, قال تعالى: [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ, وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ, وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] {البلد:8-10} وقال سبحانه: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا, فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا] {الشمس:8}.**
  - **الركن الثالث: الإيمان بوجود الحياة بعد الموت، وهذه الحياة إما نعيم وإما جحيم؛ فالأولى يكافأ بها من اتبع الحق، وفعل الخير، واجتنب الشر وما حرمه الله تعالى عليه، والثانية يجازى بها من اتبع الباطل وارتكب ما حرم الله.**
- **فهذه الحياة ميدان عمل واختبار للإنسان لمن يريد الخير، ولمن يريد الشر؛ قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} {الملك:2}, والحياة الأخرى للحساب والجزاء؛ قال تعالى: {وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} {الأنبياء:47}.**

أهمية الأساس الاعتقادي

- **هذا الأساس الاعتقادي بهذا المفهوم –المعتمد على الإيمان بالله وبالرسالات السماوية وبالحياة بعد الموت والحساب– في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في ديننا، وهو السند الذي يُعتمدُ عليه في إقامة النظام الخلقي الإسلامي، وفي عملية الالتزام به.**
- **بدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها, وتأثيرها في الإنسان, بل يستحيل أن تطبق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن، من غير أن يكون لهذا الأساس في قلوب البشر مكاناً راسخاً، ومن غير أن يؤمنوا به إيماناً صادقاً.**
- **وليس هذا أساسٌ للسلوك الأخلاقي فحسب، بل كذلك للحياة؛ إذ لا معنى للحياة –في الحقيقة– دون وجود هذا الأساس ودون الاعتماد عليه.**

- **إن الوجوديين وأمثالهم من الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يعانون من قلق وحيرة واضطراب في أعماق قلوبهم وفي سلوكهم وتفكيرهم، ثم يسعون إلى تعميمه على البشر كلهم بدعوى أن هذا القلق والحيرة والاضطراب من مستلزمات الوجود الإنساني، وهو ادعاءٌ باطلٌ لا يستند إلى حجة أو دليل أو شبه دليل، وإن أبسط ما يرده أننا نحن المسلمين –ولله الحمد– لا نعاني من تلك الظاهرة, بل نشعر بالطمأنينة والرضا.**
- **والسر في ذلك هو أن في طبيعة الحياة الإنسانية جانباً لا يملؤه إلا الإيمان؛ فمن انعدم لديه الإيمان عانى من الفراغ في هذا الجانب، فأحس بالقلق والاضطراب.**
- **إن اعتماد الأخلاق على أساس من العقيدة يضفي عليها طابعاً مميزاً من القداسة, وتدفع بالإنسان إلى فعل الخير, والابتعاد عن الشر, وتجعله صاحب ضمير حي, وقد اعترف بهذا الدكتور ألكسيس كاريل حيث يقول: "الفكرة المجردة لا تصبح عاملاً فعالاً إلا إذا تضمنت عنصراً دينياً, وهذا هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد تستحيل معه المقارنة, ولذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية".**

الأساس الواقعي والعلمي

- **إذا كان الإسلام قد دعا إلى المثالية والسمو الروحي, وذم الذين أخلدوا إلى الأرض وشهواتها, فإن دعوته إلى المثالية كانت واقعية, وكانت وسطاً بين نظرتين متطرفتين هما:**
  - **دعوات روحية تدعو الإنسان إلى محاربة الطبيعة, وعدم الاستسلام لها, مهما جابهته ضغوطات الحياة ومهما كانت شدتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان, وسموه الروحي وخلاصه من آلام الحياة إنما تتم بمحاربة الطبيعة, والتسامي عليها.**
  - **دعوات للطبيعيين الذين أخلدوا إلى الأرض، وقدموا الطاعة لدواعي هذا الركون والخضوع للأرض ومتطلباتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان إنما تتم باستجابته لمتطلبات الطبيعة.**

- **فجاء موقف الإسلام نحو الطبيعة واقعياً وسطاً معتدلاً بين هاتين النظرتين, وقد تجلى ذلك في:**
  - **دعوته إلى الاستعلاء على الطبيعة وعدم الاستسلام لها؛ وذلك بدعوته الإنسان إلى أن يكون سيداً على الطبيعة، فيسخر مواردها في عمران الأرض، ونفع العباد، كما قال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} {هود:61}, وأن يكون كذلك سيداً على نفسه؛ فيضبط ميوله ورغباته ويوجهها وفقاً للمثل العليا التي جاء بها الإسلام.**
  - **دعوته إلى التأقلم والانسجام مع الطبيعة ومع الواقع، وعدم التصادم معها؛ وذلك عن طريق اتخاذ قواعد للسلوك تنسجم تمام الانسجام مع القوانين الأساسية للحياة البشرية، وهذه القوانين هي:**
    - **قانون المحافظة على الحياة.**
    - **قانون تكاثر النوع الإنساني.**
    - **قانون الارتقاء العقلي والروحي**

- **القانون الأول – قانون المحافظة على الحياة: اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها سلوكاً أخلاقياً، وكل سلوك يضاد الحياة أو يعوقها بصورة من الصور يعد سلوكاً غير أخلاقي.**
- **القانون الثاني – تكاثر النوع الإنساني: اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى إبقاء النوع وتحسينه سلوكاً أخلاقياً راقياً، فشرع الزواج وحث عليه، ونهى عن التبتل أو الرهبانية كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".**
- **القانون الثالث – الارتقاء العقلي والروحي: اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى السعادة والإقبال على الحياة بمحبة وانشراح وينمي العقل ويحافظ عليه سلوكاً أخلاقياً راقياً، وكل سلوك يضاد ذلك كأن يجعل الإنسان يعيش في عزلة من الناس متشائماً قلقاً، أو يضر بعقله ويجعله مريضاً أو متخلفاً مستسلماً للجهل والخرافات سلوكاً غير أخلاقي.**

مراعاة الطبيعة الإنسانية

- **الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روح، وجسد، وعقل، وقلب، ومشاعر، وعواطف. وأن هناك صراعاً بين طبيعة الإنسان وتكوينه المادي الذي يميل إلى الأرض والتراب الذي خلق منه، فيستجيب للأهواء والشهوات وينساق لها، وروحه العلوية التي هي من نفخ الإله، وتدعوه إلى السمو والرقي والمثالية.**
- **والمطلوب هو التنسيق بين هاتين الطبيعتين في الإنسان، وتوجيهه إلى السلوك الذي يليق به بصفته أشرف مخلوق على ظهر الأرض، وصاحب رسالة خُلِق من أجلها في هذه الدنيا.**
- **والمرجع في هذا التنسيق هو الشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين تبارك وتعالى.**
- **ومن هنا كان هذا الأساس على جانب كبير من الأهمية في الدراسات الأخلاقية, وذلك لما بين سلوك الإنسان, وطبيعته التي جبله الله عليها من صلة وثيقة, ولأن نجاح أي نظام أخلاقي يتوقف على مدى انسجامه مع واقع هذه الطبيعة.**

المحاضرة الثالثة

خصائص الأخلاق الإسلامية

- **تمتاز الأخلاق الإسلامية بجملة من الخصائص تميزها عن غيرها من الأنظمة الأخلاقية, وتعطيها وجودها وطابعها المتفرد والمستقل, وهي:**

- **الانبثاق عن عقيدة الإسلام: الأخلاق الإسلامية مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً؛ بحيث يستحيل الفصل بينهما. وما أكثر النصوص التي تربط بين الإيمان وحسن الخُلُق؛ حتى إنها لتجعل الإيمان، هو نفسه حسن الخُلُق، كيف لا؛ وحسن الخلق يقتضي شُكر المنْعِم (الإله)، والاعتراف بفضله، والثناء عليه، والوقوف عند حدوده بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. وأي عقوق أعظم من أن يتمرد الإنسان على خالقه ومولاه، ويتنكر لجميله، ويخالف أمره ونهيه، كما هو الشأن في الكفار والمنافقين.**

- **الشمول: تتنوع الأخلاق الإسلامية وتشمل جميع المجالات، ومن هذه المجالات:**
  - **خلق مع الله ومع رسله عليهم السلام: وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تبين خُلُق المسلم مع الله ومع أنبيائه, من ذلك: قوله تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {النور:51} .**
  - **خلق مع المسلمين: النصوص في بيان ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع المسلم, من الأخوة والإيثار والنصح والمحبة والتعاون والنصرة والولاية أكثر من أن تحصى. من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخ المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم, كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه"**
  - **خلق مع غير المسلم: وردت نصوص كثيرة تبين ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع غير المسلم, من العدل والإحسان وحسن المعاملة, من ذلك قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} {الممتحنة:8}.**
  - **خلق مع الكبير والصغير: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا".**
  - **خلق مع ولي الأمر: ويتمثل في طاعة أوامره في المعروف, وبذل النصح له. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} {النساء:59} .**

- **الثبات: يقصد بالثبات أن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار مرتبطة بنظام الشريعة العامة، وهي أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيماً فاضلة ثابتة. يمكن إيجاز العوامل التي جعلت أخلاق الإسلام ثابتة في سببين، هما:**

- **أنها مرتبطة بالفطرة البشرية: والفطرة تتصف بالثبات، ويرثها الأحفاد عن الآباء والأجداد، كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) فالخُلق فِطرة.**
- **الثاني: كونها نابعة من الدين: والدين يصلح لجميع الناس، ويهدف إلى الخير المطلق، لأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وقد راعى فيه الخير العام, فكذلك الأخلاق الإسلامية. قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ} {الملك:14}.**

- **الجمع بين الواقعية والمثالية:**
  - **فأما كون الأخلاق في الإسلام واقعية فتعني أنها عملية وقابلة للتطبيق, ولا يستعصي على أحد من الناس تطبيقها وتجسيدها في حياته.**
  - **وأما كونها في الوقت ذاته مثاليةً أيضاً فتعني أن في الناس من تتوق نفسه إلى معالي الأمور, ولا يرضى لنفسه بأن يكون كسائر الناس, ولا يشبع ذلك نَهَمه ورغبته في التسامي بخلقه, ورغبته في التحلي بالفضائل, ففسح الشرع له ذلك المجال.**

- **الوسطية: وتعني أن الأخلاق الإسلامية وسطٌ بين طرفين متضادين. وتتجلى هذه الوسطية والاعتدال في جوانب الدين كله. ففي نظرة الإسلام إلى تكوين الإنسان كان وسطاً بين:**
  - **غلاة المثاليين الذين يعتبرون الإنسان روحاً علوية محبوسةً في الجسد ويجب عليه أن يتحرر منه.**
  - **غلاة الواقعيين الذين يعتبرون الإنسان جسداً فقط ويتنكرون للروح ومتطلباته.**

- **فجاء الإسلام ليقرر الانسجام والتوافق بين الحياتين, وأن الدنيا مزرعة للآخرة, ويجب على الإنسان أن يعمل لها ويسعى في عمارتها لأنها تمثل جزءاً من المهمة التي خلق الله عز وجل البشر من أجلها. قال تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } (61) سورة هود, أي طلب منكم عمارتها, وقال أيضاً: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (32) سورة الأعراف.**

- **وفي دعوته إلى التحلي بالفضائل الخلقية كان وسطاً لا يقبل الزيادة ولا النقصان, فعلى سبيل المثال لا الحصر, حث على:**
  - **الحكمة, واعتبرها فضيلة, قال تعالى: [يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا] {البقرة:269} ولكنها تأتي بين رذيلتين هما: الخِبُّ والبَلَه. والخب: إفراطٌ وزيادة من جهة الاتصاف بالمكر والحيلة وسوء الظن. والبله: تفريط ونقصان عن الاعتدال, وسذاجة وسفه.**
  - **السخاء, واعتبره خلقاً كريماً, لكنه بين أنه يأتي بين رذيلتين, هما: الإسراف والتقتير, قال تعالى: [وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا]. وهي وسطٌ بين رذيلتي التهور والجبن. فالتهور, زيادة عن الاعتدال، ويقدم بها الإنسان على الأمور المحظورة، التي يجب في العقل الإحجام عنها, قال تعالى: [وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]**

{البقرة:195} . والجبن, نقصان عن الاعتدال, قال تعالى في وصف المنافقين: [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] {التوبة:87}.

- **الشجاعة, وهي وسطٌ بين رذيلتي التهور والجبن. فالتهور, زيادة عن الاعتدال، ويقدم بها الإنسان على الأمور المحظورة، التي يجب في العقل الإحجام عنها, قال تعالى: [وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]. وهي وسطٌ بين رذيلتي التهور والجبن. فالتهور, زيادة عن الاعتدال، ويقدم بها الإنسان على الأمور المحظورة، التي يجب في العقل الإحجام عنها, قال تعالى: [وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ] {البقرة:195} . والجبن, نقصان عن الاعتدال, قال تعالى في وصف المنافقين: [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] {التوبة:87}.**
- **العفة, وهي وسط بين رذيلتي الشره والخمود. فالشره هو إفراط الشهوة والمبالغة في اللذات. والخمود هو قصور الشهوة عن الاندفاع إلى ما يقتضي العقل نيله وتحصيله.**
- **الحياء, وهو وسط بين رذيلتي الوقاحة وصفاقة الوجه من جهة, والخور والمهانة من جهة أخرى.**
- **التواضع, وهو وسط بين رذيلتي الكِبْر والعلو من جهة, والذلة والحقارة من جهة أخرى.**
- **العدل, هو التوسط المحمود في كل شيء, بأن يعطي كل ذي حق حقه, من غير غَبْن وتغابن. والغبن: إفراطٌ. أي أن يأخذ الإنسان ما ليس له. والتغابن: تفريطٌ. أي أن يُعطي في المعاملة ما ليس عليه حمدٌ ولا أجر.**

المحاضرة الرابعة

وسائل اكتساب الأخلاق

- **التدريب العملي والرياضة النفسية: وذلك من خلال مجاهدة النفس، وحملها على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب. فمن أراد مثلاً أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق الجود؛ فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ببذل المال، ويواظب عليه تكلفاً، مجاهداً نفسه فيه حتى يصبح ذلك خلقاً له, وطبعاً فيه، فيتيسر عليه، ويصير به جواداً.**

العلاقة بين القلب والجوارح: وفي هذا المعنى أيضاً جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ".

- **البيئة الصالحة والجليس الصالح: وذلك بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم, وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح, إذ الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخيرَ جميعاً.**

- **القدوة الحسنة: الإنسان بطبعه يميل إلى تقليد غيره ومحاكاته, وهذا أمرٌ واقعٌ ومحسوسٌ في دنيا الناس, لا يتجادل فيه اثنان, ولا يتناطح فيه كبشان.**

إن للقدوة الصالحة تأثيراً كبيراً في دفع الناس إلى اكتساب الفضائل لأسباب عديدة، منها:

- **لما كانت القدوة الصالحة محل تقدير وإعجاب كبيرين لدى الناس, فإن ذلك من شأنه أن يدفع الشخص المحروم من أسباب هذا المجد إلى تقليده ومحاكاته لعله يصبح يوماً مثله, فيتكون لديه حافز قوي يدفعه إلى تقليده, ومع مرور الوقت فإن هذا التقليد يتحول لديه إلى خلق مكتسب.**
- **إن وجود القدوات الصالحة, والنماذج الطيبة الراقية, يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل أمر ممكن, وهو ما يدفعهم إلى محاولة التخلق بمثل أخلاقهم.**
- **أن النفس البشرية تتأثر بالأمور العملية أكثر بكثير من تأثرها بالأمور النظرية, وإن موقفاً عملياً واحداً ربما يؤثر أكثر من عشر محاضرات نظرية, فمهما حثَّ أحدنا الناس على الصبر والتضحية سيبقى تأثيره قليلاً بالمقارنة مع موقف عملي يُبتلى فيه أحدُنا فيظهر الصبر والجلد والتضحية, وكثيراً ما يقال: إن الرجال مواقف.**

- **الضغط الاجتماعي: ونعني بذلك المجتمع المسلم، بما يشكله من رقابة على سلوك الأفراد، ويُلزمهم بفضائل الأخلاق.**

الفرق بين الضغط الاجتماعي وتأثير البيئة الصالحة:

- **البيئة: تعني تلك المجموعة من الناس الذين يعيش معهم بشكل مباشر كل يوم، وبصورة مستمرة.**

- **وأما الضغط الاجتماعي: فيعني المجتمع بكل طبقاته وأطيافه وفئاته؛ فهناك رقابة من المجتمع على وسائل الإعلام المختلفة من جرائد ومجلات وكتب وإذاعات وخطب ومقالات ومواعظ وحوارات، فيقوم مستمعوه وقراؤه بمحاسبته على أقواله وتصرفاته المخالفة للفضائل الخلقية.**

- **سلطان الدولة: ونعني به السلطة الحاكمة بما تملكه من قوة ردع، وأجهزة رقابة ومحاسبة، وفي بيان أثر هذه الرقابة من الدولة وأهميتها يقول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".**

المحاضرة الخامسة

المسؤولية عن السلوك الأخلاقي

- **تعريف الإلزام: يمكن تعريف الإلزام في باب الأخلاق بأنه: تكليفٌ بتشريع خُلُقي.**
- **مصادر الإلزام: يذهب عامة علماء المسلمين إلى أن مصدر الإلزام الخلقي – كغيره من الأحكام الشرعية – إنما هو الله سبحانه, قال تعالى: {إِنْ الحُكْمُ إِلَّا لِلَه}, وقال جل في علاه: {أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ}. ثم إن الله تعالى أمرنا باتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.**
- **أموراً تعين على تحقيق الالتزام:**
  - **العوامل الداخلية للإلزام:**
    - **الإيمان بالله**
    - **العقل**
    - **الفطرة**
    - **الضمير أو الوازع الديني: ونعني به ذلك الشعور الخفي الذي نحس به في أعماق نفوسنا, يناديا ويدفعنا إلى ممارسة فعل أو الكف عنه. وحين نستجيب له يغمرنا شعور عارم بالراحة واللذة**
  - **العوامل الخارجية:**
    - **المجتمع**
    - **السلطة الحاكمة**

خصائص الإلزام الخُلُقي

- **يمتاز الإلزام الخلقي في الإسلام بجملة من الخصائص أهمها:**
  - **الإلزام بقدر الاستطاعة, [لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا].**
  - **اليسر في التطبيق, [يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ].**
  - **مراعاة الأحوال الاستثنائية, كما في إعفاء العجزة والضعفاء والمرضى عن الجهاد.**

المسؤولية

- **تعريفها: هي "التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً".**

- **شروط المسؤولية:**
  - **الأهلية: وذلك بأن يكون الشخص أهلاً لتحمل المسؤولية.**
  - **الإرادة: أي أن يكون العمل نابعاً من إرادته.**

- **النية: إذ المسؤولية الحقيقية عند الله إنما هي على النية والقصد دون ظاهر السلوك؛ أي أن تتجه النية من الشخص إلى العمل، وأن يعمل حقيقة.**
- **العلم بالعمل: وبما يؤدي إليه من خير أو شر.**
- **كون العمل مما يطاق: أي أن بإمكان المكلف الفعل أو الترك.**

- **خصائص المسؤولية:**

- **تتسم المسؤولية في الإسلام بأنها ذات طابع شخصي، بمعنى أن الإنسان يتحمل مسؤولية تصرفاته فقط دون تصرفات غيره.**
- **والثواب والعقاب إنما يكون على تصرفاته من الأقوال والأفعال.**
- **غير أن هذه المسئولية الفردية لا تعني أن لا يكون الفرد مسؤولاً عن انحراف أبنائه أو أقرانه، أو من له ولاية عليه.**

- **أنواع المسؤولية:**

تنقسم المسؤولية إلى ثلاثة أنواع:

- **المسئولية الأخلاقية المحضة: وتعني الالتزام الذاتي من الإنسان نفسه على الإتيان بشيء أو الانتهاء عن فعل شيء.**
- **المسئولية الاجتماعية: وتعني الالتزام تجاه الآخرين من أبناء المجتمع, وما يفرضه المجتمع من قواعد.**
- **المسئولية الدينية: وتعني الالتزام أمام اللّه تعالى.**

الجزاء

- **تعريفه: هو الأثر المترتب على الفعل الإنساني؛ ظاهراً أو باطناً، في الدنيا أو في الآخرة.**
- **<u>أنواعه:</u> للجزاء ثلاثة أنواع هي:**

- **الجزاء الأخلاقي: ويعني ما يلاحظه الإنسان من نفسه جراء إقدامه على عمل طبقا لما يعرفه من الأحكام والتشريعات والقواعد ويحس بها، كالرضا في حالة النجاح، والألم في حالة الإخفاق.**
- **الجزاء الشرعي: ونعني به العقوبات التي أقرتها الشريعة الإسلامية لأولئك الذين يتعدون حدود اللّه، فيظلمون بذلك أنفسهم، ويظلمون غيرهم. والغاية من هذا الجزاء الشرعي معاقبة المجرم وردعه, وكذا ردع الآخرين ممن يمكن أن تسول له نفسه ارتكاب مثل تلك الجرائم. وهذه العقوبات على نوعين:**
  - **حدود: وهي جزاءات حددها الشرع كحد الزنا، والسرقة، والقذف... .**
  - **وتعزيرات: أي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لم يحدد الشرع فيها عقوبة**
- **الجزاء الإلهي: إذا كان النوعان السابقان من الجزاء يقعان في الدنيا، فإن الجزاء الإلهي له طبيعته وامتداداته من الدنيا وإلى الحياة الآخرة.**

المحاضرة السادسة

نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

- **الرسول ذو الخلق العظيم: قال تعالى مادحاً نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم 4] وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام:(كان خلقه القرآن).**
- **قال النبي صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن نعمة ربه عليه (أدبني ربي فأحسن تأديبي), وقال: (أما إني لأخشاكم وأتقاكم لله).**

- **عبادة النبي صلى الله عليه وسلم: كان النبي عليه الصلاة والسلام كما وصف نفسه, أتقى الناس وأخشاهم لله, وأكثرهم عبادة وتألهاً، فمن كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان شاكراً. تقول عائشة رضي الله عنها: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (أفلا أكون عبداً شكوراً).**

- **خلقه صلى الله عليه وسلم في الدعوة: كانت دعوته عليه الصلاة والسلام لجميع الخلق، وكان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً في سبيلها، ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة.**

وقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين ، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، وكان يتمثل في ذلك صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل: { ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:12]

- **رحمته صلى الله عليه وسلم: كانت رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعة، تشمل عامة الناس؛ مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم ومنافقهم، صالحهم ومسيئهم, فوجوده صلى الله عليه وسلم كان رحمة للجميع قال تعالى في شأنه: {وَمَا كان الله لِيُعذِبَهم وأنت فيهم} (الأنفال:33), ورسالته كانت رحمة للجميع.**

- **صدقه صلى الله عليه وسلم: اشتهر النبي صلى الله عليه وسلم بين قومه بالصادق الأمين حتى قبل إعلانه دعوته، وإعلامهم بأن الله قد أرسله إليهم, ولعل في الصورتين الآتيتين ما يؤكد هذا المعنى:**
  - **اعتراف أعدائه بصدقه حتى قبل إعلانه لدعوته: فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت الآية {وأنذر عشيرتك الأقربين}(الشعراء:214)، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: "يا بني فهر، يا بني عدي"؛ لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً؛ لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش. فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، كنتم مصدقي؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا... الحديث.**

- **ما أخبر به عبد الله بن سلام الحبر اليهودي وبسببه أسلم: قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ".**

- **شجاعته صلى الله عليه وسلم: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الأشجع والأجود بنفسه, ومن قصص شجاعته:**
  - **سبقه لكشف أخبار العدو: فقد روي عن أنس بنِ مالك رضى الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ) أي أن الفرس كان سريعاً فسبقتكم إلى الصوت وليس هناك ما يخيف فارجعوا.**
  - **وروي عن عليٍّ رضى الله عنه أنه قال: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم, فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ. وقال علي رضى الله عنه أيضًا: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً.**
  - **موقفه صلى الله عليه وسلم يوم حنين, فعن سيدنا العباس رضي الله عنه قال شهدت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم حنين, فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يُرْكض بغلته قِبَل الكفار قال العباس وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أكفها إرادة ألا تسرع فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أي عباس ناد أصحاب السمرة. قال عباس – وكان رجلاً صيتاً فقلت: أين المهاجرون الأولون أين أصحاب سورة البقرة والنبي صلى الله عليه و سلم يقول قدما: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. قال فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار حتى انهزم الكفار. قال وكأني أنظر إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} يركض خلفهم على بغلته.**

- **عفو النبي صلى الله عليه وسلم: كان النبي صلى الله عليه وسلم متخلقاً بالعفو في أعظم صوره, ولعل في هاتين الحادثتين بعض ما يؤكد لنا ذلك:**
  - **عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبريلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ:**

إنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بمَا شِئْتَ فِيهِمْ . فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ). فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: (بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً). فعفا عنهم, رغم كفرهم, وإيذائهم له.

- **عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدة. قال أنس فنظرت إلى صفحة عاتق النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه, فضحك ثم أمر له بعطاء). وعن عائشة قالت : مَا ضَرَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إلاَّ أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى.**

المحاضرة السابعة

تابع– نماذج من أخلاق النبي الكريم

- **تواضعه صلى الله عليه وسلم: كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد التواضع, يُجيب دعوة الحر والعبد, والغني والفقير, ويعود المرضى في أقصى المدينة, ويقبل عذر المعتذر. فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ, فكلمه فجعل تُرْعَدُ فرائصه, قال جرير: فقال له النبي: (هون عليك فإني لست بملك, إنما أنا ابن امرأة من قريش, كانت تأكل القديد في هذه البطحاء). ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي {وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}. قال فنطق الرجل بحاجته.**
- **زهده صلى الله عليه وسلم: كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكاً نبياً أو يكون عبداً نبياً, فاختار أن يكون عبداً نبياً.**
- **صبر النبي صلى الله عليه وسلم: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه, وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة. وهي شدة مطلوبة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله, وهي خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان. قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) (الفتح:29).**
- **مزاح النبي صلى الله عليه وسلم: وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمزح ولكنه في مزحه لا يقول إلا حقاً. ومن صور ذلك أن امرأة عجوزاً سألته صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي. فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً} [الواقعة 35–37].**

- **حياؤه صلى الله عليه وسلم: كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء, فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاء.**
- **عدل النبي صلى الله عليه وسلم: عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ :« وَيْحَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يَجُوزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ...).**
- **أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله: كان صلى الله خير الناس لأهله, وقد تمثل ذلك في طيب كلامه, وحسن عشرته لزوجاته وبإكرامه واحترامه لمشاعرهن، قال عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).**
- **أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال: كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم, ويظهر محبته لهم.**
- **وكان من شفقته عليهم أنه إذا سمع بكاء الصبي وهو يؤم الناس في صلاة الجماعة أن يسرع في صلاته ويخففها, لئلا تفتتن أمه.**
- **أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخدم: كان النبي صلى الله عليه وسلم لطيفا رحيماً في تعامله مع خدمه إلى أبعد الحدود, فعن أنس رضي الله عنه قال" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا).**
- **هديه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالحيوان: كان النبي صلى الله عليه وسلم رفيقاً بالحيوان, ويوصي أتباعه بذلك, فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).**

المحاضرة الثامنة

أخلاق المهنة ومدى الحاجة إلى دراستها

تعريف المهنة:

- **المِهنَة لغة: بكسر الميم وفتحها, والفتح أشهر. وتطلق على بذل النفس في الخدمة والحذق فيها.**
- **وفي الاصطلاح المعاصر تطلق المهنة على: الحرفة التي تشتمل على مجموعة من المعارف العقلية ومجموعة من الممارسات والخبرات التدريبية, يؤديها الفرد من خلال ممارسته للعمل.**
- **تعريف آخر: عمل يحتاج إلى معارف عقلية وخبرة ميدانية. كالطب, والهندسة, والتدريس, والمحاسبة.**

مرادفات لفظ المهنة:

هناك ألفاظ قريبة في معناها من المهنة وربما التبست بها, كالحرفة والصنعة والعمل والوظيفة .. وفيما يلي بيان لمعانيها وأوجه الفرق بينها:

الحِرفة:

وهي لغةً: بالكسر؛ الصنعة أو وسيلة الكسب التي يَرْتزق منها المرء بصفة مستمرة, من زراعة أو صناعة أو تجارة, وتحتاج إلى تدريب قصير. وسميت بذلك لأنه مُنْحرِف إليها. ويقال حِرْفَتُهُ أنْ يفعل كذا: أي؛ دأبه وديدنه. والاحتراف: هو الاكتساب. وليس لها معنى إصطلاحي خارج هذا التعريف.

العمل:

لغةً: يُطلق على المهنة، وعلى الفعل.

والفارق بين العمل وبين كلٍ من المهنة والحرفة:

- **أن العمل قد يكون من الإنسان أو الحيوان, والحرفة لا تكون إلا من الإنسان. فالثور الذي يحرث الأرض يعمل, والطائر الذي يبني لنفسه عشاً يعمل, ولكن لا يُقال إنه محترفٌ أو ذو مهنة.**
- **العمل قد يكون ذهنياً, وقد يكون بدنياً, وأما الحرفة فالغالب أنها تُطلق على الأعمال اليدوية.**
- **العمل يستعمل للمرة الواحدة ولأكثر, ولا يحتاج إلى التدريب, بخلاف المهنة أو الحرفة فلا بد فيها من بعض التدريب والاستمرارية.**

الصنعة:

لغة: ترتيب العمل وإحْكامه على النحو الذي تعلمه, وبما يوصل إلى المقصود منه. فيقال للنجار صانع, ولا يقال للتاجر صانع؛ لان النجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب, وكذا سبق علمه بالأسباب التي توصله إلى المقصود منه, وأما التاجر فلا يعلم إذا اتجر هل سيصل إلى ما يريده من الربح أم لا ؟.

الفرق بين الصنعة والعمل: يمكن تلخيص أوجه الفرق بين الاثنين فيما يأتي:

- **العمل يُطلق على ما يصدر من الإنسان أو الحيوان, بينما لا تُطلق الصنعة إلا على ما صدر من الإنسان.**
- **العمل لا يتطلب العلم بما يعمل له, بخلاف الصنعة فإنها تتطلب العلم والمهارة, بل إن الصنعة لا تُطلق إلا على ما كان بإجادة, وفيه معنى الحرفة.**
- **الصنعة أخص والعمل أعم. وكل صنعةٍ عملٌ، وليس كل عملٍ صنعةً.**

الوظيفة:

- **الوظيفة لغةً: ما يقدَّر من عمل أو طعام أو رزق في زمن معيَّن، وتأتي أيضاً بمعنى الخدمة المعيَّنة.**
- **وفي الاصطلاح المعاصر: تطلق على وحدة من وحدات العمل, تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل, ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر.**

خصائص المهنة

1. **تقديم خدمات أساسية ومفيدة للمجتمع.**
2. **حاجتها إلى الإعداد العلمي من خلال برامج ذات أهداف محددة وواضحة, ومن جهات علمية معترف بها.**
3. **لكل مهنة معارف ومهارات خاصة بها.**
4. **لكل مهنة قوانين وآداب تنظمها, وتحكم العمل بها.**
5. **غالباً ما يوجد في وقتنا الحالي تجمع للعاملين بالمهنة يتحدث باسمها ويدافع عنها كالنقابات والجمعيات.**
6. **لكل مهنة معالمها الواضحة التي تميزها عن غيرها من المهن.**

الحكم الشرعي للمهنة

إن من يقرأ في كتاب الله تعالى, أو في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم, يجد أن الإسلام يحث على العمل, ويرفع من شأنه. كما أن من يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة, أو غيره من الأنبياء, أو يقرأ في سير الخلفاء الراشدين, أو الصحابة الكرام رضوان الله عليهم, أو في سير سلف الأمة وأئمتها, يجد أنهم جميعاً قد مارسوا مختلف المهن من تجارة ورعي وزراعة وخياطة وحدادة وغيرها.

تعريف أخلاق المهنة

نعني بأخلاق المهنة تلك التوجيهات النابعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها أفراد المجتمع, والتي ينبغي للشخص أن يتحلى بها أثناء ممارسته للمهنة

الفرق بين أخلاق المهنة وأنظمتها:

أنظمة المهنة: تُعَرَّف بأنها تلك القوانين والتشريعات التي تحدد وتنظم عمل الممارسين للمهنة

ويتجلى الفرق بين أنظمة المهنة وأخلاقها في:

- **أن أخلاق المهنة تهتم بما ينبغي فعله، وبما يُجَمِّل صورته أمام الآخرين, ويكسبه احترامهم, وأما أنظمة المهنة فتهتم بما يجب فعله.**
- **إن من يخالف أخلاق المهنة يستحق اللوم والعتاب, وأما من يخالف أنظمتها فإنه يستحق العقوبة الزاجرة أيضاً, ولا يكتفى معه باللوم والعتاب.**

مصادر أخلاق المهنة

- **نصوص الشريعة كتاباً وسنةً هي مصدر التكاليف الشرعية عامةً بما فيها الجانب الأخلاقي, وأخلاق المهنة بصفتها تمثل جانباً من جوانب السلوك الأخلاقي, فإن مصدرها أيضاً هو الشرع.**
- **كون الشرع مصدر أخلاق المهنة لا يعني المنع من الاستفادة مما هو متوافر لدى الآخرين من غير المسلمين من أنظمة وتشريعات وإجراءات وأساليب نافعة ومفيدة في هذا الباب, ما لم تكن مصادمةً للشرع, فالحكمة ضالة المؤمن, وحيثما وجدها أخذها, وكان أحق بها.**

مدى الحاجة إلى دراسة أخلاق المهنة

لكل مهنة أخلاق وآداب عامة تحددها القوانين واللوائح الخاصة بها, ومن خلال مراعاتها تتم المحافظة على المهنة ومكانتها. وكثيراً ما تجمع هذه الآداب والأخلاق في عصرنا هذا في وثيقة واحدة, يطلق عليها ميثاق الشرف المهني.

صفات الميثاق الأخلاقي

لكي يحقق الميثاق الأخلاقي أهدافه يجب أن يتصف بما يلي:

1. **أن تكون مواده منسجمة مع قيم المجتمع ومبادئه.**
2. **أن تكون مختصرة.**
3. **أن تكون سهلة وواضحة.**
4. **أن تكون معقولة ومقبولة من الناحية العملية.**
5. **أن تكون شاملة.**
6. **أن تكون إيجابية.**

المحاضرة التاسعة

الأخلاق الجامعة للمهنة

- للمهنة عناصر أربعة هي:
  - العامل
  - رب العمل
  - المستفيد
  - المجتمع.
  - ويُقصد بأخلاق المهنة هنا تلك الصفات التي تنشد الكمال في هذه العناصر الأربعة.

الطهارة المهنية

لغة: مصدرٌ من طَهُرَ يَطْهُرُ, وتعني النظافة والنقاء والتنزه عن الأقذار, حسية كانت تلك الأقذار أو معنوية. والطاهر هو: البرئ من العيوب, وهو النزيه, والشريف.

شرعاً: تطلق على غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة (أي رفع الحدث الأصغر أو الأكبر), أو إزالة نجاسةٍ.

أقسام الطهارة:

- **الحسية: وتتحقق برفع الحدث أو إزالة النجس أو ما في معناهما وعلى صورتهما.**
- **المعنوية: وتتحقق بترك الذّنب وتنقية النّفس من العيوب.**

تحقق الطهارة المهنية: تدخل الطهارة المهنية تحت القسم الثاني, أي الطهارة المعنوية, وتعني تطهير المهنة وتنزيهها عن النقائص والعيوب، ويتحقق ذلك من خلال المحافظة على أمرين:

- **السمعة الطيبة ممن يقدم المهنة: وذلك بأن يترفع عن النقائص والعيوب ويتصف بسمعة طيبة.**
- **جودة الأداء: وذلك من خلال تنزيه المهنة نفسها عن العيوب والنقائص.**

شروط الطهارة المهنية:

- **أن يمتلك كلٌ من العاملِ ورب العمل صفحة بيضاء في سجل المهنة, ويتمتع بسيرة طيبة (أي: شهادة حسن سلوك).**
- **أن يلتزم كلٌ من طرفي المهنة (العاملُ وربُ العمل) بالقواعد المنظمة لممارستها. أن يمتلك العامل الخبرة المطلوبة في الأعمال التي يستلزم ممارستها خبرة.**
- **أن يكون صاحب المهنة (سواء أكان عاملاً أم رب عمل) متقناً لمهنته، متمكناً منها, وأن يتصف المنتج بالجودة, وإلا كان غاشاً في عمله.**

التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية:

لا تقوم مهنة معتبرة بغير طهارة، ومن ثَمَّ كان الحد الأدنى من هذه الطهارة ضرورة لازمة, ومطلباً لا غنى عنه.

وهذه الضرورة استلزمت مع مرور الزمن وتغير الظروف والأحوال صدور قوانين تنظم وضع كل مهنة، كما أن هذه الضرورة دفعت الجهات المختلفة إلى وضع صيغٍ للعقود تتضمن الشروط والضوابط التي يجب على المتعاقدين الالتزام بها إما بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشرة كالإحالة إلى عرف أو جهة ونحوها. وبذلك تحولت تلك الصفات الأخلاقية من كونها أخلاقًا كريمة مرغوب فيها إلى التزام واجب, يترتب على مخالفتها المساءلة القضائية.

أدلة الطهارة المهنية:

يدل لخلق الطهارة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث كثيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, منها:

- **قول الله تعالى: {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} {النمل:88} والإتقان والجودة معنى من معاني الطهارة المهنية.**
- **ومنها قوله تعالى: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام, وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد}, فالكف عن الفساد والإفساد والترفع عنهما من خلق الطهارة المهنية؛ لأنها من باب التنزه عن النقائص والعيوب.**
- **{ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً, وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} فالتواضع, ولين الجانب, والإعراض عن السفيه, كل ذلك من خلق الطهارة المهنية, وتحقق لصاحبها السمعة الطيبة.**

مظاهر الطهارة المهنية عند الفقهاء

تكلم فقهاؤنا عن الطهارة المهنية التي تعني السمعة الطيبة, والسيرة الحميدة, وجودة الأداء والإتقان, وإن لم يسموها بهذا الاسم. وسنعرض فيما يأتي أمثلة من باب القضاء على سبيل التمثيل والبيان وليس الحصر:

- **بطلان تولية الفاسق القضاء: قال فقهاؤنا: لا يجوز تولية الفاسق القضاء مع وجود القاضي العدل, وإن تمَّ ذلك فهو باطل, وذلك حفاظاً على سمعة القضاء وسمعة القاضي من جهة، ولتحقيق جودة الأداء في الحكم، وإقامة العدل بين الناس من جهة أخرى, ولا يخفى أنهما من خصال الطهارة المهنية.**
- **– تحريم تولية الجاهل القضاء: قال فقهاؤنا: يحرم تولية الجاهل القضاء مع وجود العالم؛ للحفاظ على جودة الأداء، وتحقيق العدالة, وهي من خصال الطهارة المهنية.**
- **– كراهة تولية المفضول القضاء: قال فقهاؤنا: يكره تولية المفضول القضاء مع وجود الفاضل (أو الأفضل)؛ للحفاظ على جودة الأداء أيضاً, وتحقيق الطهارة المهنية.**

المحاضرة العاشرة

الاستقامة المهنية

- **لغةً: مشتقة من القيام, وتعني الثبات والدوام والملازمة والاستمرار على الشيء, كما أنها تفيد معنى الاعتدال والاستواء. الأول قوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ} {التوبة:7}, أي: فما استمر وثبت أولئك المشركون معكم على العهد, فاستمروا أنتم معهم واثبتوا.**
ومن الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم للمأمومين خلفه في صلاة الجماعة: (أقيموا صفوفكم). أي اعتدلوا واستووا ولا تختلفوا.
- **اصطلاحا: لا تخرج عن معناها اللغوي, أي أنها تفيد الاعتدال في أداء المهنة من جهة، وملازمة المهنة والوفاء بمصالحها من الطاعة والمشورة والصدق من جهة أخرى.**

شروط الاستقامة المهنية:

- **حرص كل واحد من الطرفين على الآخر: أي أن كل واحد من طرفي العقد (العامل ورب العمل) مطالبٌ بالتحلي بالصفات الأخلاقية الحميدة التي من شأنها أن تغرس في نفس صاحبه الثقة والطمأنينة, وتشعره بحرصه على الاستمرار في التعاقد معه.**
- **مطاوعة الزملاء: فالثبات والاستقرار والاستمرار في المهنة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان كل واحد يراعي مشاعر صاحبه, ويحترم رأيه, ويتنازل له عن بعض ما يراه, وفي بيان أهمية ذلك نجد النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، يوصي به أَبَا مُوسى الأشعري وَمُعَاذ بن جبل حين أرسلهما إِلَى الْيَمَنِ، فيقول لهما: "يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا ولا تختلفا".**
- **طاعة الرؤساء: إن طاعة الرؤساء في المهنة ضرورة لا بد منها, وإلا كانت الفوضى, وكان الاضطراب, وكان الإضرار بالمهنة واستقرارها ومصالحها, ومن ثمَّ نجد أن القرآن الكريم يأمر بإطاعة ولاة الأمر فيقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}{النساء:59}.**
- **عدم التغيب عن العمل إلا في حالات الضرورة: إذ التغيب عن العمل يضر به, ويتنافى مع مصالحه بلا شك, والعقود أو الأنظمة والقوانين تعاقب على ذلك, غير أن الفرد قد يتغيب لظروف خاصة تواجهه, ويكون معذوراً بها, والمطلوب منه هنا أن لا يتوسع في ذلك, ويجعل مصلحة العمل نصب عينيه, لأنه من مقتضى الوفاء بالعقود, والله سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ}{المائدة:1}.**
- **الالتزام بمنهج الشورى: الالتزام بمنهج الشورى وخصوصاً في الوظائف التي تصنع السياسات المهنية, وتضع الخطط، مطلب ضروري للاستقامة المهنية, وإلا كان الوقوع في شَرَك الاستبداد بالرأي, وتحكيم العقل الواحد, والرؤية الواحدة, وهو ما ينعكس سلباً على مصلحة العمل واستقراره, ومن هنا فقد أخبرنا الله أن الشورى من صفات المجتمع المسلم, تنبيهاً إلى أهمية الالتزام بها, فقال تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} {الشورى: 38}.**

- **الالتزام بالصدق:_الالتزام بالصدق ضرورة لابد منها لتحقيق الاستقامة المهنية, إذ لا يمكن للمهنة أن تستقر وتستمر وتتحقق مصالحها من غير الاتصاف بالصدق, قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} {التوبة:119}.**

التوجيه الفقهي لخلق الاستقامة المهنية:

ما ذكر عن الطهارة المهنية من ضرورة توافر الحد الأدنى منها يقال هنا أيضاً وفي كل خصال أخلاق المهنة, فالحد الأدنى منها لا بد منه, وقد نصت عليه القوانين والعقود, فخرجت من مجرد خصال أخلاقية إلى واجبات ملزمة, يترتب على الإخلال بها مسؤولية قضائية. غير أن القوانين والعقود لن تحيط بكل خصال الاستقامة المهنية, لأن العقود تستحدث باستمرار والوقائع تتجدد دائماً, ومن ثمَّ كانت الحاجة إلى المزيد من هذا الخلق, بحيث يتحقق الغرض منه.

من المهم الانتباه إلى التالي في موضوع خلق الطهارة المهنية:

- **الاستقامة المهنية تختلف في بعض جوانبها من مهنة إلى أخرى, أي أن الاستقامة المهنية المطلوبة من القاضي تختلف في بعض جوانبها عن المطلوبة من الطبيب أو التاجر أو المدرس.**
- **كما أننا لا نبحث هنا إلا في الاستقامة ذات العلاقة بالمهنة وما يؤثر فيها, ولا شأن لنا بعلاقاته الأسرية أو الاجتماعية.**

أدلة الاستقامة المهنية:

- **قول الله تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] {هود:112} وجه الدلالة في الآية أنها تطالب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بالاتصاف بخلق الاستقامة صراحة, وهي عامة، فيدخل فيها الاستقامة المهنية أيضاً؛ لأنها فرع عنها.**
- **قوله تعالى في صفات عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} {الفرقان:67} أي أن هؤلاء العباد المؤمنين الصالحين الواقفين عند حدود الشرع يتصفون بالاعتدال حتى في حالة الإنفاق في أوجه البِر والخير, ويتجنبون الإفراط والتفريط لمنافاتها لخلق الاستقامة, وإذا كان هذا الاعتدال مطلوباً في الإنفاق في سبل الخير –مع حث الشرع عليه– فلأن يكون مطلوباً في غيره من الأمور المباحة من باب أولى.**

مظاهر الاستقامة المهنية عند الفقهاء

تكلم الفقهاء عن مظاهر الاستقامة في بعض المهن كالحُكْمِ والقضاء والمعاملات المالية, وحذروا من الخصال التي تتنافى مع خلق الاستقامة المهنية، وفيما يلي ذكر لبعض هذه المظاهر:

- **العدل في المعاوضات المالية: الأصل في المعاوضات المالية أنها تقوم على التراضي بين طرفي العقد, والأصل في الطرفين أنهما عاقلان بالغان راشدان يدركان مصلحتهما, ومن ثمَّ فإن الشرع يتركهما لإرادتهما واتفاقهما, ولا يتدخل بينهما.**

- **العدل في المكيال والميزان: قال تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...}. فالمطلوب هو العدل بإطلاق, في جميع مجالات الحياة, ومع جميع الناس, مهما اختلف الزمان أو المكان أو الجنس أو الدين.**
- **الالتزام بمتطلبات المهنة وبأدائها على وجهها المطلوب: أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بأداء المهنة على وجهها المعروف في صور المعاوضات المالية، وعدم الإخلال بمتطلباتها اللازمة؛ لقولة تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ} {المائدة:1} ولا يخفى ما لهذا من أثر طيب وإيجابي على تحقيق الثبات والدوام والاستقرار للمعاملات، وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية.**
- **الشورى: ويمكن تعريف الشورى بأنها مراجعة الآخرين من أهل الاختصاص والخبرة؛ لأخذ رأيهم في الموضوع الذي ينظر فيه, ثم العمل بموجبه.**

المحاضرة الحادية عشر

التعاون المهني

لغة: المساعدة، مِنْ عاونه وأعانه إذا ساعده. والمعاون: المساعد.

إصطلاحاً: لا يخرج عن معناه اللغوي, وهو المساعدة على أداء المهنة. أي المساعدة في إيجاد المهنة, وأداء مهامها بروح الفريق الواحد. وإنما يتحقق ذلك بأكمل صوره بالتزام جميع الأطراف بتسييد معاني الأخوة والاحترام الصبر على المكاره، ثم الارتقاء إلى مراتب التناصح والتنافس الشريف.

تحقيق التعاون المهني على أكمل وجه يوجب على أطراف المهنة أن يسعوا في واقع مهنتهم إلى تحقيق أمرين اثنين هما:

1- تسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره بين أطراف المهنة من عاملين وأرباب عمل أو رؤساء.

2- الارتقاء إلى درجات التناصح والتنافس باعتبارها ثمرة لتسييد معاني الأخوة والاحترام وسياسة الصبر.

شروط التعاون المهني

- **استحضار معنى الأخوة مع زملاء المهنة: قال تعالى: {إنما المؤمنون أخوة} وهذه أولى وأهم الشروط لتحقق التعاون المهني, إذ تكاد الشروط الأخرى تكون نابعة, ومتفرعة عن هذا المعنى, فالأخوة تستلزم المحبة والسماحة والنصح وغيرها, وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المعاني في قوله: "المسلم أخو المسلم, لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره, بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم, كل المسلم على المسلم حرام, دمه وماله وعرضه".**
- **إنكار الذات: إنكار الذات والترفع عن الأنا من ضرورات التعاون المهني, وبقدر ما يستطيع المرء التخلص منها, يكون استعداده للتعاون أكبر, ويكون محبته للخير للآخرين أعظم, وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك دليلاً على استكمال الإيمان فقال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه".**
- **السماحة في المنهج: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى". فالسماحة وكرم النفس من ضرورات التعاون المهني, ومن دونها يكون التشاحح, والتباغض, والتدابر.**
- **4- الصبر على المكاره: فمن غير الصبر لا يمكن أن يتحقق التعاون المهني, إذ لا بد أن يجد كل واحد من زميله أموراً لا تعجبه, فإن لم يوطن نفسه على الصبر, كان الصِدام. قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.**
- **5- بذل النصيحة: عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم". فالتعاون يستدعي بذل النصيحة ضرورة.**

- **6- المنافسة الشريفة: التنافس الشريف فيما هو لصالح المهنة ولما فيه خيرها أمرٌ مفيدٌ ومطلوب, وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قتل قتيلا، فله سلبه". وما ذلك إلا للتشجيع والمنافسة والحث على المزيد من البلاء في المعركة.**

التوجيه الفقهي لخلق التعاون المهني

كما ذكر في الخصال السابقة (الطهارة المهنية والاستقامة) فإن الحد الأدنى من هذا التعاون أيضاً ضروري وإلزامي بنص القانون أو العقد, والإخلال به يستوجب مسؤولية قضائية, ويبقى ما فوقه مطلوباً من جهة الأخلاق, ويستوجب مسؤولية أخلاقية.

وهنا تنبيه بخصوص ما ذكر من قبل من أن التعاون المطلوب في كل مهنة بحسب طبيعتها:

1- فالتعاون المطلوب بين المدرسين يختلف عن التعاون المطلوب بين الطبيب والمريض, أو طاقم الطائرة... وهكذا.

2- كما أننا لا شأن لنا بالجوانب الأخرى التي لا تتصل بالمهنة كالتعاون بين أفراد الأسرة أو الجيران ... ونحو ذلك.

أدلة التعاون المهني

1- قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ} {المائدة:2} فالتعاون على كل ما هو من البِر والخير مطلوب, والتعاون على كل ما فيه نفع العباد مطلوب, ولا شك أن التعاون في أداء مهام المهنة أحد صورها.

2- - وقال تعالى على لسان ذي القرنين: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً} {الكهف:95}. فهذا ذو القرنين وهو مَنْ هو في قوته ودهائه يطلب الإعانة لإنجاز ما هو مطلوبٌ منه, فالفرد قليل بنفسه, كثير بإخوانه.

3- وقال تعالى: {إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} {الحجرات:10} . وقد سبق أن بينا في الشروط معاني هذه الأخوة وضرورتها للتعاون المهني.

4- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {آل عمران:200} . فالآية لا تأمر بالصبر فحسب, بل بالمصابرة أيضاً, وهي أشد وأبلغ من الصبر, حيث فيها حمل النفس على المزيد من التحمل والثبات.

مظاهر التعاون المهني عند الفقهاء

هناك عقود ومهن كثيرة يتجلى فيها مظاهر التعاون المهني، ذكرها الفقهاء في مصنفاتهم، وسنشير إلى بعضها فيما يأتي:

- **الإقالة في العقود: والإقالة تعني فسخ العقد وإبطاله برضا الطرفين؛ بناءً على طلبٍ من أحدهما بعد إبرام العقد ولزومه وترتب آثاره؛ أي أن أحد الطرفين يندم ويريد إبطال البيع أو الإجارة أو نحوهما من بعد إبرام العقد ولزوم آثاره، فيستجيب له الآخر؛ تقديراً لظروفه، ومراعاة لحق الأخوة التي قررها الشرع. وقد أجمع الفقهاء على أن الإقالة مندوبة؛ لأنها من باب التعاون على البر.**

- **عدم الخطبة على خطبة أخيه وعدم البيع على بيعه: قال صلى الله عليه سلم: "لا يخطب أحدكم على خِطبة أخيه, ولا يبع على بيع أخيه, إلا بإذنه". أي أن الشرع ينهى عن المزاحمة والمنافسة غير الشريفة, والتي من شأنها أن توغر الصدور, وتجلب الكراهية والحقد, لما في ذلك من المنافاة لحقوق الأخوة والتعاون التي يجب أن تسود العلاقات بين الناس.**
- **التصريح بما في السلعة من العيوب_: لا خلاف في أن بذل النصح واجب للمسلم على أخيه المسلم, فقد كان رسول الله يأخذ على الناس فى البيعة بذل النصيحة كما يأخذ عليهم الفرائض، يقول جرير: "بايعت رسول الله على السمع والطاعة، فشرط عليَّ: والنصح لكل مسلم" وهذا الخُلق يتطلب من البائع أن يذكر كل عيب يعلمه في سلعته, أو يخبر المشتري بأنها مغشوشة مثلاً, فيبذل له النصيحة, وإلا كان كاتماً للعيب, غاشاً له, والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ، مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِى بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا".**

المحاضرة الثانية عشر

الأمانة المهنية

الأمانة لغة: عكس الخيانة، وتفيد الأمن والاطمئنان وعدم الخوف. وتطلق أيضاً على كل ما عُهِد به إلى الإنسان من حقوق أو واجبات أو حاجات للآخرين؛ فيُطالب بالحفاظ عليها وإيصالها إلى ذويها سالمة. قال تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء 58) . وقال أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال 28).

في الاصطلاح: لا تخرج عن معناها اللغوي, وهي تعني الحفاظ على المهنة بحفظ عهدها, وعدم الخيانة فيها،

وتتمثل في أصول ثلاثة هي:

- **ما يخص حقيقة المهنة: وذلك بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة بحسب طبيعة المهنة, والحفاظ على كل ما يعرف عند الناس بأنه إفشاءه نقض للعهد، وخيانة لأسرار المهنة.**
- **ما يخص التصرف في المهنة: وذلك بالحفاظ على مصالح المهنة الحقيقية، وعدم تقديم مصالحه الشخصية على مصالح المهنة؛ فلا يسرف في الإنفاق فيما يستلزم الإنفاق، ولا يستغل مهنته أو منصبه من أجل مصالحه الشخصية.**
- **ما يخص وسيلة المهنة: سواءً في الوصول إليها أو في أدائها؛ فيجب أن تكون مشروعة لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، وللوسائل حكم المقاصد؛ فلا كذب ولا غش ولا نفاق ولا غيبة ولا نميمة.**

شروط الأمانة المهنية

- **أن يحافظ جميع الأطراف على أسرار المهنة؛ مما يعد إفشاؤه نقضاً للعهد.**
- **أن يلتزم أصحاب الشأن في المهنة الرشدَ في التصرف من غير إسراف أو استغلال.**
- **أن يسلك أصحاب الشأن في المهنة السبل المشروعة التي تحفظ شرف الوسيلة وشرف المقصد.**

التوجيه الفقهي لخلق الأمانة المهنية

إن الحد الأدنى من الأمانة المهنية ضرورية، وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود؛ ومن ثمَّ فإننا دراستنا هنا تقتصر على ما وراء ذلك.

كما أن الأمانة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، فما يطالب به الطبيب يختلف عن المدرس والمهندس وهكذا, وكذلك لا شأن لنا بما وراء المهنة كالبيت والشارع ونحوهما.

الأدلة في الحث على الأمانة المهنية

- **قال الله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء 58). وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال 27). فالآيتان تأمران بالحفاظ على الأمانات وأدائها على وجهها المطلوب، والأمانة المهنية جزء منها.**

- **قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ} (التحريم 3). وفي هذا ما يدل على أنه ما كان ينبغي لهن الإفضاء بالسر الذي أسره النبي صلى الله عليه وسلم لهن.**

مظاهر الأمانة المهنية

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال الأمانة المهنية، منها:

- **المنع من استغلال المهنة: والمقصود باستغلال المهنة: هو تسخيرها لتحقيق مصالحه الشخصية، أو لما يمكن أن تحقق له ذلك ومن صورها الفقهية قبول الهدايا, فقد حذر الشرع من استغلال المهنة فحرم الرشوة.**
- **المنع من الغش في المهنة:_والغش في المهنة يعني التدليس والخداع في أدائها بما يوهم السلامة، أو كثرة راغبيها لإغراء الآخرين بها، أو رفع الأجر عليهم. والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه المنع من التدليس والخداع في المهنة هو تحريم التصرية.**

التصرية فهي: ترك حلب الدابة مدة من الزمن, حتى يجتمع قدرٌ كبيرٌ منه في ضرع الدابة، فيتوهم الراغب في الشراء أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها.

النجش فهو: أن يبدي الشخص رغبة في شراء سلعة, لا ليشتريها, بل لإغراء غيره بها، وللإيهام بكثرة الراغبين فيها.

- **الحجر على السفيه: والسفيه هو الذي لا يحسن التصرف في المال, ولا يقدر عواقب تصرفاته, فيقدم عليها بدافع الطيش والهوى, وبعيداً عن العقلانية والرشد الذي هو إصلاح المال وتنميته والمحافظة عليه.**

المحاضرة الثالثة عشر

المحبة المهنية

المحبة تعني الميل والود والإيثار قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ] {التوبة:23} أي؛ إن اختاروا وآثروا وقدموا الكفر على الإيمان.

وللحب أنواع متعددة منها:

- **حب عقيدة وإيمان: وهو حب الله, وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب آل بيت رسول الله, وحب قراءة القرآن, وحب الإنفاق في سبيل الله, وحب الجهاد ...وهكذا. ومن ذلك ما في الحديث: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"**
- **حب فطرة وطبع: كحب الولد, وحب المال, وحب الحياة, وحب الطيب, وحب المناظر الجميلة ... وهكذا, وهي أشياء يستوي في حبها المؤمن والكافر, والكبير والصغير, والرجل والمرأة, والحضري والبدوي, والمتعلم والجاهل.**
- **حب تقدير وإعجاب: كحب عقبة بن نافع, أو عبد الرحمن الداخل, أو صلاح الدين الأيوبي أو محمد الفاتح لبطولاتهم والفتوحات التي أجراها الله على أيديهم, وحب حاتم الطائي وابنه عدي لكرمهما, وحب عنترة لشجاعته, , وحب آخر للنجاحات التي حققها في حياته، ومنه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} {الحشر:9.**
- **حب مصلحة ومنفعة: كحبنا لمن قدَّمَ إلينا يد العون والمساعدة, يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها"**
- **حب الرذائل وحب الشماتة: كحب الشر للأعداء، أو حب الفواحش والرذائل، ومن صور ذلك ما أخبر عنه القرآن الكريم بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {النور:19}**

أصول المحبة المهنية

إن المحبة المهنية تعني الميل تجاه المهنة لتحقيق أصول المحبة الثلاثة:

1- التوادد بمراعاة آداب اللياقة في علاقات المهنة.

2- التراحم بالإحسان إلى زملاء المهنة والمنتفعين منها.

3- التعاطف من خلال الإيثار لمصلحة المهنة.

هذه الأصول الثلاثة جمعها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

شروط المحبة المهنية

- **تقديم مصلحة المهنة على سائر مصالحه الحياتية الأخرى: بمعنى أن تكون مهنته هي الشغل الأهم له من بين أعماله اليومية الأخرى, فتفكيره في معظمه منصب على كيفية تطويرها بحيث تكون أنفع, وجهده منصب في أكثره على خدمتها بحيث تحقق نجاحاً أكبر, فهي مصدر رزقه, ومستقبلها مستقبله هو, وسمعتها الطيبة رأس مال له, واستمرارها ونجاحها نجاح له.**
- **الانتصار للمهنة بالدفاع عنها وعن العاملين فيها: وهذه نتيجة حتمية للشرط الأول, بمعنى أنه إذا أحب مهنته, وكان مخلصاً لها, متفانياً في محبتها, نتج عن ذلك بداهة دفاعه عنها, وغيرته عليها, وعلى العاملين بها, ورأى أن كل انتقاص لها أو للعاملين عليها, انتقاص له, لأنه يرى فيها نفسه, وسمعته, ومستقبله.**
- **إفشاء السلام لنشر المحبة بين الناس وخصوصاً زملاء المهنة الواحدة: فالسلام اسم من أسماء الله تعالى, وإلقاؤه يعني تطمين المُسَلَّم عليه بأنه لن يجد الأذى أو ما يكرهه أو يخافه من جهته, فهو في أمان منه.**
- **طلاقة الوجه بشكل دائم: وهذه بمثابة التكملة للشرط السابق, إذ ما قيمة السلام بوجه عبوس؟! إن السلام يجلب المحبة, ويجد طريقه إلى القلوب, إذا صاحبته البشاشة وطلاقة الوجه, لأنها الدليل الأقوى والأوضح على ما يكنه القلب لسامع السلام.**
- **الاعتناء بالنظافة الشخصية واختيار الزي المناسب لطبيعة المهنة: لأن الذوق السليم يحب النظافة, وينفر من القذارة, والشخص النظيف محبوب لدى زملائه يألف ويؤلف, وديننا الحنيف دين الذوق الرفيع, ودين مراعاة المشاعر.**
- **إكرام ذوي الهيئات: الإنسان عرضة للوقوع في الخطأ لنسيان, أو إهمال, أو جهل, أو ساعة ضعف, أو غير ذلك من الأسباب, والناس ليسوا جميعاً سواءً, فهناك من تردعه الإشارة, وهناك من لا يردعه إلا العقوبة القاسية. وبين المرتبتين مراتب كثيرة, بحسب تربية الشخص, وأخلاقه, واستقامته, وأصالته, وقد نبهنا ديننا إلى مراعاة ذلك.**
- **إراحة العاملين في المواصلات والمواعيد والإقامة: وذلك لأن هذه الأمور تشعره بأنه محل تقدير واحترام المسؤولين عنه, ولا شك أنهم أيضاً سيكونون محل محبته واحترامه وتقديره.**
- **الإيثار وتقديم مصالح الآخرين: الإيثار هو أن يحرم الشخص نفسه, ويقدم مصلحة الآخرين وحاجتهم على مصلحة نفسه مع شدة حاجته, وهي مرتبة فوق الإحسان في سُلَّم القيم الأخلاقية.**

التوجيه الفقهي لخلق المحبة المهنية

ما ذكر سابقاً في التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية وما بعدها يقال هنا أيضاً، ومن ثَمَّ فلا داعي لتكراره، أي أن الحد الأدنى من المحبة المهنية ضرورية، وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود, وبحثنا هنا يتناول ما وراء ذلك.

كما أن هذه المحبة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، فما يطلب من المدرس يختلف في بعض جوانبه عن ما يطلب من الطبيب أو القاضي أو المحاسب.

الأدلة في الحث على المحبة المهنية

يدل لخلق المحبة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث نبوية، نذكر منها:

- **قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {الحشر:9}.**

فقد امتدح الله الأنصار لاتصافهم بخلق المحبة والإيثار، فعلى الرغم من أن الله قدم ذكر المهاجرين على ذكرهم، وأعطى المهاجرين من الفضل والشرف أكثر مما أعطاهم, فإنهم لم يتأثروا بذلك، ولم تتمكن دوافع الغيرة والأنانية من التأثير على نفوسهم الطيبة الزكية، فسجل الله لهم تلك الصفة الخلقية الراقية.

- **وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} {النحل:128} فالآية تثني على المحسنين, والإحسان من خلق المحبة المهنية.**

مظاهر المحبة المهنية

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال المحبة الخلقية، نشير هنا إلى بعض منها:

- **استئذان المرؤوس من الرئيس في المهنة: اتفق الفقهاء على أن الاستئذان من الرئيس في المهنة مطلوب, ولا شك أنه من خلق اللياقة المهنية, ومن شأنه أن يحقق وينمي المحبة بين الرئيس ومرؤوسيه, كما أن عدم الاستئذان وتجاهل المسؤول فيه ما فيه من الكبر, ويؤدي إلى التنافر والتباغض بين الأطراف**
- **إفشاء السلام ورده: أجمع الفقهاء على أن إلقاء السلام مندوب إليه شرعاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم". وأما الرد فواجب؛ لعموم قوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} {النساء:86}**
- **الإحسان إلى زميل المهنة: قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} {النساء:36}.**